مجلة الرائد

العدد : ٢١٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤٢٠ هجري ٩ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : فراغات في مسيرة العمل الإسلامي	بقلم : د. كمال الهلباوي

وفّقت الحركة الإسلامية بفضل الله تعالى، وكذا القيادات الإسلامية المخلصة العاملة بين الجاليات المسلمة في الغرب، -وفّقت- إلى إنجاز العديد من البرامج والمشروعات التي شهدتها مسيرة العمل الإسلامي والدعوة في الغرب، وهي مشروعات وبرامج تهتم بالمسلمين جميعاً من رجال ونساء وشباب وناشئة ونستطيع أن نلمس آثارها واضحة جلية، ونلخصها في الآتي:

١- **بناء المساجد للصلاة** والتعبد وإلقاء الدروس والخطب وتحفيظ القرآن الكريم وقيام الليل...

٢- **إقامة المراكز الإسلامية** لأداء العبادات، والاهتمام بالمشكلات التي تعوق تقدم الجاليات، والحفاظ على هوية المسلمين من الضياع، وشبابهم من الذوبان في المجتمعات الغربية.

٣- **إقامة المخيمات والمؤتمرات والندوات والدورات** التربوية والشرعية لبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة و المتوازنة، ومناقشة القضايا المصيرية المستقبلية للجاليات المسلمة.

٤- **إقامة المدارس والمعاهد والكليات**، وذلك لأغراض التعليم ونشر العلوم الإسلامية، والمنهج الإسلامي الذي يخدم المجتمع الذي يعيش فيه المسلم.

٥- **بناء المؤسسات الخيرية** وذلك لدعم القضايا العادلة ومساعدة الأيتام والمساكين والأرامل واللاجئين والمهجّرين وطلاب العلم والفقراء...

٦- **إقامة مؤسسات تمثل المسلمين**، أي كيانات تتحدث باسم المسلمين وتدافع عن قضاياهم ومشكلاتهم مع الحكومات الغربية، وتسعى للوقوف وقفة صحيحة لتصحيح تقارير أجهزة الإعلام، خصوصاً التي تشوه صورة المسلمين.

٧- **بناء مؤسسات اجتماعية** لرعاية كبار السن من المسلمين، والاهتمام بالأحوال الشخصية للمسلم من زواج وطلاق وميراث ومدافن...الخ

٨- **إقامة المؤسسات التي تهتم بالأكل الحلال والذبح الحلال**

٩- **إقامة مؤسسات للبحث والفتوى** فيما يعترض المسلم من مشكلات وتحديات يحتاج فيها إلي مشاورة أهل العلم والذكر والتخصص، والوقوف على الرأي الشرعي (الفتوى)

١٠- **إقامة بنوك أو وحدات ومؤسسات اقتصادية** تهتم بالاستثمار الإسلامي وتخليص الجالية المسلمة واستثماراتها من الأعمال الربوية.

ونظرة سريعة على هذه الإنجازات توضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك فراغات كثيرة لا تستطيع الأمة ولا الجالية نماءً بدون ملئها، ولا تستطيع تقدماً بدون شغلها. والفراغات لا تدل على التخلف دائما، إنما تحتاج الأمم– حتى الراقية منها- إلى البحث عن الفراغات سعيا إلى تعبئتها. الأمر يصبح تخلفاً إذا لم نعرف الفراغات ولم نحسن تعبئتها، وفرحنا بما هو قائم، كأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وهي مقولة تدحضها الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة والواقع. فمن الآيات:{**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**}، } **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا**} ومن الأحاديث الشريفة : " **إن الله تعالىيبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة (قرن) من يجدد لها دينها" ، " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق".** وملء الفراغات من الخيرات التي تحتاج إلى مسارعة وإلى تزكية النفس وتنميتها وزيادة حصيلتها من الخير، وهي من طرق الفلاح والإصلاح والنماء والارتقاء ، بما في ذلك إماطة الأذى عن الطريق. وكما تزداد أهمية ملء الفراغات إذا كانت دائرة الصراع أوسع مدى وأخطر وسيلة، إذ أنها تحسم في قضية التفوق في وجه التحدي وتأهيل الأمة ودفعها إلى أداء دورها الكبير ووظيفتها الأساسية في الشهادة على العالمين، فالشهادة هذه تحتاج رقياً، وتستلزم علواً في النفس والروح، وتحتاج إلى همة راقية وعلم كبير.

والفراغات القائمة في مسيرة الأمة الإسلامية والعمل الإسلامي في الغرب وتحتاج من المسلمين إلى ملئها كثيرة ، ومنها فراغات كلية و جزئية، وأصلية وفرعية، وحقيقية وشكلية، ومن أهم الفراغات الحاسمة في تقدم الأمة والجاليات المسلمة في الغرب، والمجال مفتوح أمام ملئها وإنشاء الكيانات اللازمة لذلك، تأتي هذه المؤسسات:

١- مراكز البحوث والدراسات

٢- منتديات الحوار

٣- مراكز إعداد القوى البشرية وتنميتها

٤- حقوق الإنسان

٥- العمل التقني والبث الإعلامي

هناك مراكز بحوث ودراسات في العالم الإسلامي وفي الغرب أنشأتها الجاليات المسلمة ، بل يوجد في كل دولة من دولنا مراكز بحثية تسير– غالباً - في فلك النظام القائم حتى لو تغيرت وجهته وفلسفته

في الحياة. وعند بعض الحركات الإسلامية مراكز بحثية بدائية أو لجان تفتقر إلى الشمول في التغطية والمتخصصين أو الإمكانات اللازمة (مثل المكتبات والأرشيف والمعدات...الخ). وقد يعزى ذلك لأسباب أمنية أو غيرها. وينبغي أن تكون الموضوعات المطروحة للبحث في تلك المراكز مفيدة. والسبل المتبعة لمعالجتها واضحة ، حتى تلحق بنظيراتها في الغرب أو تتفوق عليها ، وما ذلك على الله بعزيز.

وتقف في وجه تلك المراكز عقبات منها : التخلف ، أو أزمة الديكتاتورية مثلما هو الحال في كثير من الدول الإسلامية ، أو العجز المالي مثلما هو الحال في باكستان ، أو عدم التنسيق مثلما هو الحال في الجاليات في الغرب . ومن أهم المراكز البحثية القائمة " **مركز الدراسات السياسة والإستراتيجية** " بالأهرام-مصر ، لإمكاناته الواسعة ، وعلى مستوى العمل الحركي والشعبي فإن أهم مراكز البحث والدراسات هو " **مركز دراسات الوحدة العربية** " الذي عاش مدة طويلة يبحث في قضايا الأمة العربية أساساً بسبب النظرة القومية ، وإلى حد كبير معهد الدراسات السياسة في باكستان – القسم العربي- الذي اهتم بالقضية الأفغانية أولا قبل توسعه، وكانت من إصداراته " قضايا دولية " رحمها الله تعالى

ومن المراكز المهمة في الغرب مركز (USAR) في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يصدر مجموعة من الدراسات والبحوث الجيدة، وخصوصا عن قضية فلسطين، ويمكن أن يكون نواة لعمل بحثي متكامل إذا توفرت له الإمكانات البشرية والمادية.

إن الأمة والحركة الإصلاحية في الشرق أو في الغرب بحاجة إلى مراكز بحوث ودراسات مستقبلية، ولاؤها للوطن بعد الله تعالى، لا تخضع لحكومات متباينة في الناحية الفكرية والتوجهات، تعمل لصالح الأمة أو الجاليات، وتمثل تياراتها المتنوعة وشرائحها من مدنيين وعسكريين، وتستفيد من خبراتها، فتعقد الندوات والمؤتمرات العلمية، وتنشر الأدبيات الإحصائية والتحليلية، وتيسرها للناس، كل الناس، المعنيين بأمر الإصلاح والسعي إلى الخروج من المأزق، وتتابع ما يحدث في العالم حتى لا تحدث فجوة أو تزداد الفجوة القائمة بين الشمال والجنوب، أو بين الأجناس والأعراق، ولا تظل قيادة البشرية حكرا في يد الغرب حالياً.

ومن الأمور والقضايا التي تنتظر هذا المركز، أو هذه المراكز، لدراستها وتوضيح الرؤية بشأنها، قضايا مزمنة، مثل: فلسطين وكشمير وغيرهما ودورنا فيها، وقضايا فكرية منها: منهجية الإصلاح والتغيير وتطورها ، وقضايا اقتصادية منها: المديونية والنظام الربوي وإنقاذ النظام الإسلامي " اللاربوي " ، ومنها : ما يتعلق باكتساب القوة والمحافظة على المكاسب، فضلاً عن العلاقات الدولية

والحوار مع الآخرين، ومنها: مستقبل المسلمين في الغرب وكيفية تربية الأولاد في البيئات الجديدة، ومستقبل الحضارة الغربية، والتقاطعات مع القيم الأخلاقية التي يقرها الإسلام وتلك التي ينهى عنها.

ومن الفراغات التي تؤثر على مستقبلنا تأثيرا بالغاً وظل مكانها شاغراً حتى اليوم، **منتديات الحوار** التي تتمثل أهميتها في إعداد المحاورين والمفاوضين، وإعداد قائمة بالموضوعات المؤثرة في مستقبلنا، والمطلوب التحاور بشأنها داخلياً وخارجياً وفق الأولويات المطلوبة في الأمة. وهذه مهمة مستمرة لا تنتهي بانتهاء قضية، ولا تبلى مع الخروج من مأزق نقع فيه، انظر إلى قوله تعالى: { **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** } ثم قوله تعالى: { **وقولوا للناس حسنا** } كيف يكون ذلك ؟؟ وخصوصا في غير أوقات السلم.

إنني أتابع الحوار والتفاوض – على سبيل المثال - بين الفلسطينيين والمحتلين الإسرائيليين مثلما يتابعه آخرون ممن شغلتهم قضايا الأمة، ويؤرقني الفرق الهائل بين المتحاورين بدءاً من مدريد ومروراً بأوسلو. إن الحوار سلاح من أسلحة القوة في يد من يحسنه، وهو سلاح من الأسلحة الفاسدة لمن لا يدرك أهميته، ولا يستعد له الاستعداد اللازم واللائق به، وأتساءل اليوم :كيف يمكن أن يتحاور المسلمون في الغرب مع الغرب ومع الشرق؟ من يمثلهم؟ ما هي الموضوعات التي يطرحها المسلمون للحوار ؟ ما هي الإحصاءات عن المسلمين في الغرب ؟ وكيفية الاستفادة من قدراتهم ؟

ومن الفراغات الأساسية في مسيرة الأمة، **مراكز إعداد القوى البشرية وتنميتها**، إذ لا يخفى على عاقل أهمية القوى البشرية في التقدم والتحضر، والمراكز المطلوبة لها مهمة أساسيا هي الإعداد البشري لقيادة المستقبل، وتحقيق الشهادة على العالمين بالوسطية والاعتدال { **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** }

والإعداد المطلوب هو طموح راق لتحقيق ما كان عليه "الجيل الفريد" في ميدان الإيمان والقيم وفهم الرسالة ، مع السعي لتحقيق روح المعاصرة، وحتى يجري تحقيق النصر على أهل البغي والعدوان، ولتحقيق المنهج الرباني في الحياة والإنسان والكون، بثقة كبيرة في الله تعالى، مع فهم لمتطلبات المستقبل، ونوعية القوى اللازمة لتشكيل ذلك المستقبل، وإعداد المناهج اللازمة المتجددة لذلك، وكيفية أداء دور مثل دور مصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة بين قوم مشركين ومحاربين له وللدين الجديد.

أما في ميدان حقوق الإنسان فقد تخلف العالم الإسلامي شعوباً وحكومات على مدى فترات زمنية

طويلة في هذا الميدان، بعد أن ذخرت كتب التاريخ بأمثلة لا تبارى في احترام حقوق الإنسان وذهبت مضرب الأمثال، وخصوصاً في العصر النبوي وعصر الراشدين، ومرت على الأمة- للأسف الشديد- فترات ولا تزال، كانت سجلاتها في ميدان حقوق الإنسان الأسوأ في العالم حيث تعرض فيها آلاف الأبرياء إلى السجن والتقتيل والاعتقال العشوائي وفق قوانين يعجب الإنسان منها تنادي بتوسيع دائرة الاشتباه مثلاً، حتى أصبح البريء متهماً، خائفاً على نفسه، غير آمن على حياته وحياة أسرته. يحدث هذا ونحن نقرأ قوله تعالى: { **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر** } ونقرأ قوله صلى الله عليه وسلم: " اعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه " ونقرأ : " لا فضل لعربي على أعجمي ،لا بالتقوى " . ولم تردع تلك الآيات ولا الأحاديث النبوية الشريفة بعض الأنظمة عن التفرقة بين الناس بسبب القوميات والروح القبلية وغيرها مما تأباه الشريعة القائمة على الحق والعدل: { **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى** }

تقوم حقوق الإنسان في الإسلام على ركائز أهمها الأسس العقدية الراسخة والحرية في الاختيار والنظرة الموضوعية الكاملة المتجردة، نتبينها من الآيات والأحاديث السابق ذكرها.

ونظرة سريعة على مؤسسات حقوق الإنسان في العالم الإسلامي نجد أنها تعاني من مشكلات وتحديات يأتي في مقدمتها :

- مناهضة الأنظمة لتلك المؤسسات وإغلاقها وسحب الرخص والتصاريح الممنوحة لها، أو تقييد مجال عملها والأشخاص الذين يسمح لهم بالعمل في هذا الميدان.
- نقص الأموال التي تنفق في هذا الميدان
- التمويل المشبوه أو المشروط أحياناً أخرى بشروط غير مقبولة شرعاً ولا قانوناً
- نقص توسيع تلك الحقوق حيث تقف عند حد المطالبة بالإفراج عن المساجين السياسيين، أو البحث عن عمل لهم لضمان مستقبل يملأ البطون قبل كل شيء، وبمعنى آخر تقف عند حدود المطالبة برفع المظالم.

ومن أهم مجالات حقوق الإنسان التي ينبغي أن تجاهد المؤسسات العاملة في الميدان من أجلها:

١. حرية العقيدة واحترام المقدسات
٢. حق التعبير بشتى صوره وأشكاله
٣. حق العمل والكسب تحت كل الظروف

٤. حق التحاكم والتقاضي ضد الأفراد والمؤسسات والأنظمة

٥. حق التعلم والتجمع

٦. حق التنقل والسفر والاتصال

٧. حق البيع والشراء والإنتاج

٨. حق الإبداع وحسن الأداء والاختراع...الخ

ومما أراه اليوم وألمسه عن العمل في ميدان حقوق الإنسان عند المسلمين الاقتصار على القضايا التي تهم المسلمين، وبذلك تتشوه صورة حقوق الإنسان، في وقت نرى فيه الهيئات والمؤسسات غير الإسلامية تعمل في القضايا التي تهمها والتي لا تهمها، التي تحبها والني لا تحبها، مادام أنها كلها تندرج تحت حقوق الإنسان. خذ على سبيل المثال– رواندا- التي شهدت مأساة كبيرة في السنوات الأخيرة، وقد تألمت ألماً شديداً إذ لم تشارك معهم مؤسسات إسلامية بشكل فاعل في التخفيف من مصابهم ومآسيهم.

قد يقول قائل– صدقاً وإخلاصاً-: إن مآسي المسلمين والمظالم التي تقع عليهم تستوعب كل طاقاتهم وتحتاج إلى كل إمكاناتهم، وهذا صحيح إجمالاً، ولكن الأمة التي أنيطت بها مهمة الشهادة على العالمين في ضوء قوله تعالى : { **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** } لا يمكن أن تقصر هذه الأمة عملها بشكل مخل وهي تشعر بالمسؤولية عن الناس، والشاعر العربي يقول :

جُد بالقليل ولا تمنعْك قِلتُهُ فكل ما سدّ فقراً فهو محمودُ

ومن المشكلات التي تواجه هذا العمل: الخلط القائم بين مفهوم العمل الإغاثي (الخيري) وبين مفهوم العمل في ميدان " حقوق الإنسان ". من حق الإنسان المصاب أو المريض أو الجريح أو اليتيم أو الأرمل أو حتى السليم الصحيح أن يأكل ويشرب، وأن يسكن، وأن يتنقل، ولكن الإنسان (مطلق الإنسان) له حقوق كثيرة بسبب تكريم الله تعالى له ولا تتعارض تلك الحقوق مع حقوق المسلم على المسلم.

أما الفراغ الآخر والأخير المذكور هنا فهو فرغ قائم في ميدان الإعلام . (وهذا ما ستتناوله الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى)